"وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"

كتبها؛ أبو الفضل العراقي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه أجمعين وسلم تسليما.

وبعد:

إن مسالة التكفير من المسائل العظيمة القدر التي اختلفت فيها الأمة قديما وحديثا، بل كانت سببا رئيسيا لمروق أول فرقة من جماعة المسلمين، إلا وهي فرقة الخوارج الذين اختلفوا مع سائر المسلمين آنذاك في الحكم على الفاسق الملي - وهو مرتكب الكبيرة - حيث حكموا عليه بالكفر والخروج من الملة، ولم يكتفوا بذلك بل تجاوزا ذلك باستحلال الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم بالسيف، واستحلوا دماء عوام المسلمين وأموالهم بغير حق، فأحدثوا فتنة عظيمة دامية في الأمة، إلا أن شافتهم استأصلت بسبب الحزم الكبير الذي ووجهوا به من أئمة المسلمين، وعلى رأسهم

الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن تلاه من خلفاء بني أمية رحمهم الله تعالى.

إلا أن فتنتهم العمياء تلك ووجهت برد فعل خاطئ تمثل في مذهب الإرجاء المردي، الذي بدأت ملامحه تتوضح في بعض الأفكار التي كان يجاهر بها حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنفية رحمهم الله تعالى، لتكون نواة لمذهب بدعي مردي خبيث، نما وترعرع على أيدي وفي أحضان أهل البدع والأهواء مازجين إيّاه بلوثات الجهم بن صفوان ليحدثوا في الأمة، ذلكم الإرجاء المقيت الفاسد الذي ترك الاسلام ارق من ثوب سابري.

ولعل اعظم مدخل على اهل البدع والاهواء من الخوارج والمرجئة، الذين هم على طرفي نقيض، عدم فهمهم وادراكهم لاعظم اصل في هذه المسالة التي لو انهم فقهوها جيدا وعملوا بها لما كان هناك افراط ولا تفريط، الا وهو الاصل القائل بأن؛ "**التكفير حكم**

شرعي توقيفي مرده الى الله والرسول صلى الله عليه وسلم".

فإن اهل البدع والاهواء - من خوارج ومرجئة - جهلوا ان التكفير حكم كسائر الأحكام الشرعية الأخرى، من حيث انضباطه بضوابط شرعية مستمدة من المصادر المعتبرة في التلقي؛ كتابا وسنة صحيحة وإجماعا معتبرا، ولا يجوز لأحد مهما علا كعبه في العلم أو عظم شانه أن يتكلم في شئ من أحكام التكفير من غير مستند شرعي يؤيده، وإلا كان كلامه تأليا على الله وتقولا عليه سبحانه بغير علم.

{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة، وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه وتعالى أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان)[1].

وقال ابن حزم الاندلسي رحمه الله تعالى: (لا نسمي في الشريعة اسماً إلا بأن يأمرنا الله تعالى بأن نسميه أو يبيح لنا الله بالنص بأن نسميه، لأننا لا ندري مراد الله عز وجل منا إلا بوحي ورد من عنده علينا، ومع هذا فإن الله عز وجل يقول منكراً لمن سمى في الشريعة شيئا بغير إذنه عز وجل: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى * أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى}، وقال تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}، فصح أنه لا تسمية مباحة لملك ولا لإنس دون الله تعالى، ومن خالف هذا فقد افترى على الله عز وجل الكذب وخالف القرآن، فنحن لا نسمي مؤمنا إلا من سماه الله عز وجل مؤمنا، ولا نسقط الإيمان بعد وجوبه إلا عمن أسقطه الله عز وجل عنه)[2].

---

[1] () مجموع الفتاوى: 12/ 256.
[2] () الفصل في الملل والأهواء والنحل: 3/191.

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: (إن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع المسلمين ثم أذنب ذنباً أو تأول تأويلاً فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعد اجتماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - على أن أحداً لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة)[3].

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى: (وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه، واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين... وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بانه مسلم)[4].

<u>وبذا يتبين لك أخي الموحد</u>؛ إن مسالة التكفير مسالة شرعية محضة مردها إلى الله والرسول فليس لأحد أن يثبت الكفر أو أن ينفيه عن قول أو فعل أو اعتقاد أو معين تلبس بشئ من المكفرات من غير استناد إلى دليل شرعي صحيح صريح.

<u>وهكذا فلتعلم أخي الموحد</u>؛ خطأ من نفى التكفير بإطلاق، بل سماه "فتنة"!! وكأن حكم الله فتنة هكذا بإطلاق!! من غير ما تمييز بين التكفير المحمود وبين التكفير المذموم، فانه قد تجرأ على الله ودينه وتعدى حدوده، بل قال قولا لوا انه التزم لوازمه كفر.

فلا يجوز أبدا أن نسمي التكفير "فتنة"، بل هو حكم شرعي ان انزل محله الشرعي المطلوب كان نعمة وفضلا وخيرا وقربة نتعبد الله سبحانه بها، وان لم ينزل حيث ينبغي من قبل بعض من تلوثوا بالغلو فهذا لا يعني البتة انه "فتنة"!!

---

[3] () التمهيد: 17/22.
[4] () الدرر السنية: 8/217.

بل غاية ما يقال فيها؛ أن الغلو في هذا الحكم الشرعي - الذي هو "التكفير" - فتنة مذمومة مقيتة. والأذم منها فتنة الإرجاء الفاسدة الكاسدة العاطلة الباطلة التي تسمي حكم الله سبحانه "فتنة"! فتعالى الله عما يقولون ويفترون علوا كبيرا.

فتأمل يا رعاك الله؛ مدى ضلال الخوارج الغلاة الذين كفروا أهل القبلة واستحلوا دمائهم بغير وجه حق، وأضحى باب التكفير عندهم مفتوحا على مصراعيه يلجه كل من هب ودب من المتعالمين وأصحاب الهوى والأمراض القلبية والنفسية والتقلبات الفكرية.

فلوا التزم هؤلاء بالنصوص الشرعية الصريحة الصحيحة وفق الفهم السلفي الرباني المتين لما انزلقوا فيما انزلقوا فيه من مهاوي الهوى والبدع واستحلال الدماء والأعراض والأموال.

وكذا تأمل أخي الموحد؛ مدى ضلال وبدعية مرجئة العصر الذين توقفوا في تكفير الطواغيت الذين لم يتركوا ناقضا من نواقض التوحيد إلا وارتكبوه، بل وأضافوا إلى ذلك مقارعة أهل السنة والجماعة باللسان والبيان، فصنفوا المصنفات ودبجوا الدروس والمحاضرات في ذم أهل السنة والتحذير منهم ورميهم بـ "الابتداع" و "الخارجية" و "المروق من جماعة المسلمين"!!

فلا خير من الوسطية - أخي الموحد - فان أقدمت على تكفير فالتزم أصول أهل السنة في ذلك، ولا تبالي بإرجاف المرجفين ولا تثبيط المخذلين، فان فعلت فلا تثريب عليك بل أنت ماجور غير مأزور، فان أصبت فلك أجران، وان أخطأت فلك اجر واحد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

منبر التوحيد والجهاد

* * *

sw.dehwat.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والـ
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www
moc.adataq-uba.www//:ptth